هل تريد حياة زوجية سعيدة ؟

نعم

إذا فاحذروا:

- **التليفزيون وتفكك الأسرة**
- **أثر التليفزيون على العلاقة الزوجية**
- **جعل الحياة شوريه لا استبدادية**
- **حصاد الغياب وهدم سعادة الحياة الزوجية**
- **أن تكون المرأة ضد زوجها**
- **لماذا المغالاة في الخلافات الزوجية؟**

التليفزيون وتفكك الأسرة:

إن جهـــاز التـــليفزيون هو السبب الأول في انتشار قضايا الطلاق والفشل الأســـري حيث يشجع المرأة على التمرد على زوجها ومعاملته معاملة الند للند بعدمـــا كانت أليفة، مطيعة، غاضة بصرها على زوجها، تستأنس به ما دام في البيت، وتنتظره في شغف إذا خرج، وتسترضيه إذا غضب، وتأخذ بيده إذا قام، كان البيت وقتها مليئا بالحب والود، والألفة والأنس، كانت الزوجة تنظف بيتها، وتعـــد طعامهـــا، وتربي أبناءها، وتبتغي رضاء ربها، وتتقرب إلى الله بطاعة زوجها، فلما دخل هذا المشئوم- التليفزيون- بيتها، علمها كيف تستعصي على زوجها، وتعبس في وجهه، وتطالبه بمزيد من الأثاث الذي رأته في التليفزيون، وبأشكال من الثياب والموضات التي تعرض في التلفاز، وزوجها لا يستطيع أن يلـــبي رغـــباتها، ولا جميع طلباتها، فتزعم بأنه مقيد لحريتها، ولا يستطيع أن يســـعدها، فيأتي زوجها ليقوم اعوجاجها بكلمات ملؤها الحزن والأسى، فتقابله بألفـــاظ تلقـــتها مـــن "التليفزيون " ألفاظ غريبة عن مجتمعها، فيغضب زوجها فتنشـــب الخلافـــات، ويتفكك عش الزوجية، وتنفصم عُرى الأسرة، وقد يصل الأمـــر إلى الطلاق فيجلسان كل يعض أصابع الندم على خراب البيت وتشتت الأبناء، ومن السبب؟ .

إنه التليفزيـــــون !!!

وقـــد تكـــون الـــزوجة مؤدبة طيبة، راضية بعيشتها، فرحة بزوجها، فلما أدمنت مشاهدة التليفزيون رأت فيه صوراً وأنواعاً من الخيانات وإنشاء العلاقات المحرمة مع صديق الزوج أو زميلها في العمل، ويهون المشئوم- التليفزيون- عـــليها قضية الخيانة الزوجية حيث يبث لها قصصا تصور مئات الحالات من

الخيانـــة الزوجية التي انتهت بترك المرأة عش الزوجية والهروب مع العشيق إلـــي مكان سحيق حيث يعيشان هناك في مستنقع الحرام، ونتن الزنا، أو تنتهي باتفـــاق المرأة مع عشيقها على قتل زوجها والتخلص منه، وغير ذلك مما يبث في مئات من الأفلام والمسلسلات مما حدا بعض النساء أن يجربن ما رأينه في التلفاز، فخربت بيوت، وتشرد أطفال ومن المتهم؟.

إنه التليفزيـــــون!!!

وقد كان الرجل غاضا بصره على زوجته، يراها أجمل امرأة فيسعد معها، فأصـــبح يـــرى في التلفاز من هى أجمل منها فبدأ يبغض زوجته ويتطلع إلى غيرها.

وكـــانت المـــرأة كذلـــك غاضـــة طرفها على زوجها لا تتطلع إلى غيره فأصـــبحت تـــرى في التلفاز من هو أجمل منه أو أحسن أسلوبا منه، فأصبحت تستهزئ بزوجها وتحتقره فساءت الحياة الزوجية.

ومن المتهم ؟.

إنه التليفزيون (١)

أثر التليفزيون على العلاقة الزوجية:

أصـــبح الـــرجل يشـــاهد في التليفزيون من هي أجمل من زوجته، فيزداد ســـخطا عليها، فتسوء العشرة الزوجية، وهذه امرأة تشكو زوجها وتقول: كثيرا مـــا يقـــول لها: كنت أتمنى أن أتزوج امرأة مثل الممثلة (.. ..) فتزداد زوجته غما وتمتليء غيظا.

---

(١) المتهم الأول ٢٣ - ٢٦

وأصبحت المرأة تشاهد في التلفاز من هو أجمل من زوجها، أو أقوى منه؛ ممـــا يجعـــلها تســـخط عليه أو تستهزئ به، والعجيب أنني كنت أكتب في هذا الموضـــوع فجاءني هذا الخبر المزعج الذي يفطر القلوب، ويفتت الكبود حسرة وألما:

رجل يدخل على زوجته فجأة وهي تشاهد التلفاز وحدها فإذا به يفاجأ بأنها تضم التلفاز إليها بشدة، لأنها أعجبت بالممثل، وثارت شهوتها، ففعلت هذا الفعل الخـــبيث، فقام زوجها بتحطيم الجهاز. وكم من أسرة كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقهـــا رغـــدا من كل مكان فدخلها هذا الجهاز المشؤوم فجعل عاليها سافلها وأمطـــرها وابلا من الأفلام الداعرة والمسلسلات الفاجرة، فألبسها لباس الفسق والفجور والعصيان، فانحرف أبناؤها، وتحللت بناتها حتى تمزق شملها، وتشتت أفرادها، فاللهم إنا نعوذ بك من الضلال بعد الهدى، ومن العمى بعد البصيرة، ﴿إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ (١١٩)﴾[1][2].

عدم جعل الحياة شورية لا استبدادية:

تكثر الشكوى، وتتهافت التساؤلات حول هذه الرياسة والقوامة للرجل على المـــرأة؛ حتى إن البعض ليتصدون للحديث عنها بشيء من الاستنكار، والتهجم بدوافع شتى من الهوى وسوء النية، ودونما أي تعقل وروية أو حسن طوية.

وقـــد وردت فـــي الآيـــة الشريفة كلمتان هما القول والفصل بين الحقيقة والوهم، الأولى قوله تعالى:﴿ بما فضل الله﴾ والثانية قوله عز وجل ﴿ بما أنفقوا . .﴾ وإنما يتأتى الإنفاق من الكسب، والكسب إنما يكون من خلال السعي، والسعي لا

---

(1) الأنعام ١١٩

(2) المتهم الأول ص ٨١، ٨٢

يكـــون إلا من خلال القوة والدأب والتدبير، وذلك ما خص به الرجل، ومن هنا كـــانت له القوامة على الشؤون العامة للأسرة، وهذه الرياسة مسئولية، وليست اختصاصا تشريعيا؛ وفي الوقت نفسه- أيضا- هناك المسئولية الكبرى في إدارة شئون البيت ونظامه، وتربية الأجيال، وهي اختصاص يتعلق بالأم، ولا ينافسها فيه الرجل.

وعـــليه فـــإن القيامـــة العامة شورية بين الطرفين، وشركة مساهمة ولكل نصيبه، وليست استبدادية أبداً.

ولقـــد وردت النصـــوص الكثيرة في كتاب الله ــ عز وجل ــ، وفي سنة الرسول الأكرم (ﷺ) في جعل الإدارة مقيدة بأوامر الشريعة ونواهيها وبالعرف الشـــرعي بيـــن أفـــراد المجتمع، وأولها وأعلاها: المعاشرة بالمعروف وحفظ الكرامة، في حالة الحب والبغض، أو الرضا والسخط.

قال عز من قائل:

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً (١٩)﴾ ([1]).

وروى مســـلم في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله- رضي الله عنه-: أن رسول الله (ﷺ) قال: " لا يفرك ([2]) مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقاً رضي آخر".

والـــنهي في الحديث مبني على أن الأصل في الزوجين التحابب التام، فإن حرما منه فليتجنب أسباب الكره والبغض- ولقد خص النبي (ﷺ) الرجل بالنهي

([1]) سورة النساء الآية ١٩

([2]) مثال(ضرب يضرب) المعنى: يكره.

عن الفرك لزيادة العناية بشأن المرأة، وهو يتضمن نهيا عن فركه بالأولى لأن العـــرب كانت تسند الفرك إلى النساء في الأكثر، والفارك منهن ضد العروب، أي المتحببة إلى زوجها.

والقـــاعدة الشرعية في نظام المنزل: التزام كل من الزوجين العمل بإرشاد الشرع في كل ما هو منصوص عليه، والتشاور والتراضي في غير المنصوص عليه، ومنع الضرر والضرار (١) بينهما وعدم تكليف أحدهما الآخر ما ليس في وسعه، والأصل في قاعدة هذه الأحكام كلها، قوله تعالي:

﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلا وُسْعَهَا لا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلادَكُمْ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ﴾ (٢).

الآيـــة فـــي الوالدات المطلقات، فالثابات الزوجية الأولى منهن بالتراضي والتشاور مع الزوج (الوالد) فيما فيه المصلحة لولدها

وهذا يدخل في وصفه سبحانه وتعالى للمؤمنين بقوله الكريم:

﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ(٣٨)﴾ (٣).

قال ﷺ : (استوصوا بالنساء خيرا فإن المرأة خلقت من ضلع أعوج، وإن أعـــوج مـــا فـــي الضـــلع أعلاه، فان ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج(٤).

---

(١) امتباطاً من الحديث (لاضرر ولا ضرار).
(٢) سورة البقرة الآية ٢٣٢.
(٣) سورة الشورى الآية ٣٨.
(٤) رواه البخاري ومسلم.

ومعناه أن في طبع المرأة عوجا، مع صلابة خلقية، والحكمة في ذلك ..، فهـــي كالضلع في عوجه وتقوسه لحكمة أيضا ، فيجب على الرجل ألا يحاول تقويم هذا العوج بالقوة والعنف، وأن يستوصي بها خيرا على ما هي عليه، مما هو طبع لها . وإنما يكون الترشيد والتوجيه على العوج، والميل عن الصواب والمصلحة في الأمور العادية التي يمكن تركها دون مقاومة للطبع . ومما قاله رسول الله ﷺ أيضا :

(خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي) (١).

وقال أيضا: (خيركم ، خيركم للنساء (٢).

وبعـــد هذا فالشورى هي في الأساس حكم الله بالخبرة وجدنا أنها من أهم أســـباب الســـعادة الزوجية فلم لا تحافظ عليها حتى تثاب من عند الله عز وجل لعملك بما أمر وتعيش حياة زوجية سعيدة.

(١) صحيح رواه الترمذي عن عائشة ـــ رضي الله عنهما ـــ.
(٢) رواه الحاكم عن ابن عباس ـــ رضي الله عنهما ـــ.

حصاد الغياب

هدم سعادة الحياة الزوجية

لـلغياب أسـباب كثيرة منها طلب الرزق أو السفر أو مصاحبة الأصدقاء ٠٠٠٠ وحيـنما يغيـب الزوج فإن كل شئ في البيت يتجمد٠٠٠ بل إن رابطة الـزوجية نفسها تتهدد ٠٠٠ فغياب الزوج وخصوصا بسبب السفر يفرز نمطا جديـدا من التعامل داخل الأسرة بين الزوجين والأبناء ٠٠٠ وفي كل الأحوال فـإن للغياب فاتورة باهظة يسددها الزوج ٠٠٠ الزوجة ٠٠٠ الأبناء (الخاسر الأكبر).

فهل يهدد غياب الزوج وجود الأسرة ؟

وكيف يغير السفر و(الغربة) من الأزواج والزوجات ؟

وما أثر ذلك على الأبناء والعلاقة المقدسة بين الزوجين ؟!

أقدم لكم الإجابة على هذه الأسئلة الثلاثة من خلال هذا التحقيق الذي كلفت به بعض طلبة العلم عندي ([1]) .

مهندس وصاحب شركة مقاولات_ قال لي في بداية زواجي اكتفيت بعملي كمهـندس، ولكن بعد أن رزقني الله بثلاثة أطفال ، أحسست أنني بحاجة لزيادة مـوردي المـالي لتغطية مصاريف أسرتي وتوفير حياة كريمة تليق بوضعي الاجتماعي والثقافي، ففكرت في مشاركة أحد زملائي في إدارة مشروع خاص، وتحدثت إلى زوجتي عند ذلك فشجعتني وتحمست، ودارت عجلة العمل وحققت

([1]) جزاهم الله خيرًا.

ربحا فوق المتوقع، وسعدت بنجاح المشروع، ولكن على الجانب الآخر، نغصت سعادتي مع زوجتي حيث العمل.

المتواصل ، ومن ثم فأنا دائما مقصر ولا أجد سوى اللوم والتذمر والنكد، وما زلت حائرا.

وهذه سيدة في الثلاثين من عمرها- تقول لا شك أن المال قوة وهو عصب الحيـــاة، وخير قرار يتخذه رب الأسرة المسئول عن البيت هو تأمين المستقبل، ولكـــن هذا لا يعني إهمال الجانب الأسري والابتعاد عن البيت ... إن زوجي يعمل ١٥ ساعة في اليوم وما إن ينتهي من ساعات دوامة الرسمية، حتى يلتحق بعمـــل آخر، ويكتفي بقضاء أحد أيام الأسبوع معنا، وكل يوم يعود مرهقا، ثم يتشاجر معي لأتفه الأسباب ... لا يستقبل ضيوفنا، ولا يتابع أولادنا، ويكتفي بدس المال في يدي لأتصرف في تدبير أمور البيت والأولاد .... فهل هذه حياة أسرية مرضية ؟!

الكاتبة الكبيرة عزة تقول أتمنى لو يعلم الأزواج معنى الغياب من المنزل ... فالمـــرأة تنظر إلى زوجها على أنه كل حياتها، وتريده أن يبقى بجوارها يطيـــب خاطـــرها، ويمسح بكفه عناء ومشقة ما تواجهه، وهي تسعى لإرضائه وراحته لكنها تريده أن يشاطرها الحب، والحنان، والمودة، وترى في ابتسامته ســـعادة الدنيا، وهناءتها، فتربية الأبناء لا تنجح إلا بمشاركته وشمل الأسرة لا يلـــتم إلا بوجـــوده ... فـــلماذا لا يعـــي الأزواج ذلـــك ولا يقدرون مشاعر زوجاتهم؟!

نـــادر .. .. : مـــدرس فـــي العقـــد الرابع من عمره يقول : أعترف أن عصفور السعادة قد غادر منزلنا إلى الأبد !

نعم لقد أوشكت أن أفقد أسرتي وسعادتي، فهاهي زوجتي قد غادرت منزلنا إلى بيت والدها، وما ذلك إلا لأنني أردت أن أسافر للعام الثالث بعد أن سافرت عامين كنت أعود إليها لقضاء شهر الإجازة الصيفية، ولكن زوجتي كانت دائمة التذمر والغضب، وصرحت لي بأنها ضاقت ذرعا بحياتها معي، فماذا أفعل ؟

هل أبقى مع أسرتي والعودة لسياسة ربط الحزام وشغف العيش ؟

أم أســـافر وستضمد الأيام جراح زوجتي عندما أعود إليها محملا بالهدايا ومحاولاً تأمين حياتنا، وتحقيق أحلامنا ؟

ففي أيهما الهناءة ؟

لا أدري !!

دكـــتور عماد ــ يحكي تجربته فيقول : رزقني الله بطفلة جميلة بعد زواج دام ثـــلاث ســـنوات ٠٠٠ واستطعت الحصول على فرصة عمل في الخارج، فسافرت وأهلي وربطت بيننا لذة الكفاح والحياة الواحدة بآلمها وآمالها ٠٠٠ ولم تكن الرحلة هنيئة دائمًا فلقد كانت لها مشكلاتها إلا أنها سرعان ما كانت تذوب في بوتقة الحب والمودة يصهرها الأمان والحاجة إلى الأخر ٠

أما سناء زوجته فتبادله الأفكار نفسها ٠٠٠ تقول : لم أكن أشعر بسعادتي مـــع زوجي لولا تجربة السفر سويا ٠٠٠ فأنا وزوجي مرتبطان بعضنا ببعض ولا يســـتطيع أحدنا التخلي عن الآخر وبمشاركته في الغربة أصبح كل منا دنيا الآخر ومنتهاه وبلسمه الشافي.

الداعية الإسلامي الشيخ عمر الشحات القرش يقول :

لاشـــك أن ابـــتعاد الزوج عن أهله يسبب الكثير من المتاعب، فهو رب

الأســـرة، ودرع حمايـــتها من الأخطار لمن يعيشون دائما في ظله من زوجة وأبـــناء ... ولكـــن "الغياب" أو الإبتعاد هذا تختلف اشكاله فمن الزوجات من يشـــكين إنصـــراف الزوج إلى الأصدقاء وإهمال البيت والأسرة وهن في هذا محقات إذا ما تجاوز الأمر حدود المعقول، ومهن من يشتكين غياب الزوج في سفر قد يكون للنزهة أو طلب العلم أو الرزق.

والحيـــاة الزوجية لا تستقيم بالفراق وإنما بالوئام وحسن الصحبة والوحدة أمـــر غيـــر شـــرعي إن كان اختيارًا ونحن نعلم قصة المرأة التي سمعها أمير المؤمـــنين والخليفة الثاني لرسول الله ﷺ عمر بن الخطاب رضي الله عنه تنشد حين كان يطوف في أحياء المدينة :

ألا طال هذا الليل اســـــود جانبه وأرقني أن لا حبيب ألاعـــــــبه

فوالله لولا الله لا شئ غـــــــيره لزُعزع من هذا السرير جـــوانبه

مخافة ربي والحيـــــــــاء يكفني وإكرام بعلي أن تنـــــال مراكبه !!

فـــلما كان الغد استدعى عمر المرأة وقال لها أين زوجك؟ فقالت: بعث به إلى العراق!! فاستدعى عمر بعض النساء فسألهن كم مقدار ما تصبر المرأة عن زوجها ؟

فقلن: شهرين، ويقل صبرها في ثلاثة أشهر، وينفذ إذا مضت أربعة فجعل عمر مدة غياب الزوج عن زوجته أربعة أشهر إذا مضت أعيد إلى أهله! ولابد أن يعـــلم كل زوج أن لربه عليه حقا، ولنفسه حقا، ولأهله حقا ! وليعط كل ذي حق حقه، ولا يجعل أهله يفقدونه بطول غيابه عنهم فتدركهم الوحشة والملل!

الدكتور / عبد الخالق عفيفي عميد معهد الخدمة الاجتماعية تحدث في هذا

الموضوع قائلا :

مـــن الضـــروري جـــدًا أن يتفق الزوجان على أسلوب حياتهما،ويناقشا أمورهمـــا بهـــدوء وعقلانيـــه وتفهم ومشكلة غياب الزوج من أكثر المشكلات انتشارا في مجتمعنا ــ بكل أسف ــ وعادة ما يصل طرفاها إلى طريق مسدود ما لم يكن الاتفاق والتنظيم أساسا للتعايش بين الزوجين ٠

ولعل أشد صور غياب الزوج ضررا: هو غياب الزوج بسبب السفر.

إذ تنشطر الأسرة إلى نصفين، وتنشأ الكثير من المتاعب أبرزها التكيف مع الحيـــاة الجديـــدة، وتغيـــر شكل الإنفاق، لتغير قيمة الدخل، وما يرتبط به من إســـراف أو بخل وتنازع في أوجه الإنفاق الأمر الذي يؤدي إلى ضطراب في البناء الأسري ما لم تتوحد الرغبات والتطلعات ٠

ويحذر الدكتور عفيفي من الآثار النفسية المترتبة على ذلك، فيقول:

لا شـــك أن عدم اكتمال بناء الأسرة طوال فترة السفر يؤدي إلى اختلاف فـــي أســـلوب الرعاية والتوجيه وخصوصا بالنسبة للأبناء مما يؤدي إلى فراغ عاطفي، ونفسي، واجتماعي بين الزوجين !

(والغـــربة النفسية) بين الزوجين هي أخطر ما يواجه الحياة الزوجية إذ تجـــف عواطف كل طرف تجاه الآخر، ويحدث فتور في العلاقة بينهما ويألف كـــل مـــنهم حياة العزوبية، وعندما يعود إلى الحياة الأسرية يكون من الصعب عليه ذلك ، وقد لا يستطيع عندها إعادة الأمور إلى ما كانت عليه قبل السفر.

وبعد هذا العرض السريع لآراء بعض من نثق في قولهم أقول :

كشفت دراسة حديثة أن الزوجات هن الأكثر تضررًا بسبب غياب الأزواج

وبخاصـــة فـــي حالة الغياب بسبب السفر إلى الخارج ...إذ يصبن بعدد من الأمراض النفسية تتمثل في الاكتئاب والتوتر، والنسيان، والمخاوف المرضية، أو أعـــراض جســـمية سيكوســـوماتية تظهر في شكل اضطرابات في الجهاز المعوي، والتنفسي، وضغط الدم، وقد تكون هذه الأعراض متفاعلة مع ظروف أخرى راجعة إلى معاناة الزوجة من افتقاد الزوج "العاطفي والجنسي".

وأوضـــحت الدراسة أن غياب الزوج لتحقيق آمال اقتصادية للأسرة يجعل الزوجة تقع في صراع بين تعاطفها مع ما يتحمله الزوج من مشاق لأجل ذلك، وبين تذمرها ورفضها لغياب الزوج، وقد يتخذ هذا الصراع صورًا مرضية من بيـــنها توجيـــه العـــدوان للذات، أو الإفراط في المبالغة في الاهتمام بأبنائها أو الشعور بالذنب !

فمن أجل حياة سعيدة احذروا هذا الأمر الخطير فإن ضرره أكبر من نفعه.

أن تكون المرأة ضد زوجها

قـــال شـــقيق البلخي لامرأته: (لو أن أهل بلخ كلهم معي، وأنت علي ما قدرت على حفظ ديني).

ما أعظم هذه العبارة، وما أوجزها، وما أبلغ دلالاتها، وما أحسن ما تعنيه من أهمية وظيفة المرأة في الحياة وخطرها وأثرها !

وأحسب أنها لسان حال كثير من الرجال لسان. حال القائد العسكرى (لو كان الجند كلهم معي، وأنت علي ما قدرت على حفظ ديني).

ولســـان حال الطبيب (لو أن كل من في المستشفى من أطباء وممرضين معي، وأنت علي ما قدرت على حفظ ديني) .

ولسان حال المدرس (لو أن جميع طلابي وتلاميذي معي، وأنت علي ما قدرت على حفظ ديني).

ولســـان حـــال المهـــندس (لـــو أن جميع من يعمل معي من مساعدي مهندسين وعمال ٠٠٠ معي، وأنت علي ما قدرت على حفظ ديني) وهكذا كل رجل في الحياة، لا يقدر على حفظ دينه، إذا كان من يعمل عنده، وتحت إمرته يقف معه٠٠ لكن زوجته تقف ضده ٠

أرأيت أهمية ما توفرينه من سلام في البيت، ودوره في حفظ دين زوجك ، بل دينك ودين أولادك أيضاً ؟!

كـــل مـــن خـــارج الذي البيت، بل كل من في العالم، لا يمكن أن يساعدو زوجك على حفظ دينه ٠٠٠ كما يمكن أن تساعديه أنت على ذلك ٠

وإذا لـــم يـــنجح الرجل في حفظ دينه، فلا أمل يرجى في حفظ غير دينه أيضـــا، فقد يهمل في عمله، أو يضعف في أداء مهامه، أو يخفق في التقدم فيه، أو في الحياة كلها ٠

أليس الرجل الذي يحفظ دينه هو الذي يحفظ سر بلده، ويتقن عمله، ويحفظ حقوق العبادة ؟!

أليـــس الرجل الذي يحفظ دينه هو الذي يقوم بالخلافة التي جعله الله تعالى لها في الدنيا ٠٠٠كما أمره سبحانه ورسم له ؟

ومـــن ثم أليس من حق المرأة أن تكون شريكة في كل نجاح يحققه زوجها فـــي الحياة ؟ لأنها هي التي وفرت له السلام البيتي والنفسي ٠٠٠ الذي ساعده على تحقيق ذلك النجاح !

وكذلـــك، فقد تكون المرأة شريكة في كل إخفاق يلحق بزوجها في الحياة، لأنها جعلت البيت ميدانا لمحاربة زوجها، وتنغيص عيشه !

أعود فأقول : إن هذا يزيدنا إدراكا لما أراده النبي (ﷺ) في قوله (فاظفر بـــذات الدين تربت يداك) فلولا أنها وفرت له السلام في البيت، والطمأنينة في النفس ، والراحة في الجسم والأعصاب؛ لما قام بما يقوم به، أو لما أتقن القيام بمـــا يقوم به من حفظ لدينه وأداء لعمله، ولهذا كان لها من الأجر على ما يقوم به الرجل ، مثل ما له تماما.

وأرى أن نقف عند هذا المعنى المهم الوقفات التالية :

أولا: لـــلمرأة المســـلمة، بعد هذا ، أن لا تبخس عملها في رعاية زوجها وتربية أولادها ، وفي توفيرها جو الأمان والاطمئنان في بيتها، لأن هذا العمل،

معادل عند الله تعالى، لما يقوم به الرجل خارج البيت، مهما كان عظيما، ومهما كـــانت آثاره كبيرة، كما أن ثوابها عليه مساو بثواب الرجل في عمله، حتى لو كـــان عـــبادة مـــثل الجُمَـــع والجماعات، أو حتى جهادًا في سبيل الله بالسيف والسنان.

ثانيـــا : ليس للرجل، زوجا كان أو غير زوج، أن يحقر من عمل المرأة فـــي البيت كأن يقول ... ماذا تفعلين أنت .. تطبخين ؟ المطاعم زاخرة بما لـــذا وطاب : تغسلين الثياب وتكوينها ؟! بدراهم قليلة أغسل ثيابي وأكويها في أي محل يغسل ويكوى على البخار أحسن غسيل وأحسن كي !

هذا التجريد لعمل المرأة بخس لها ، وتقليل من شأنها ، بفصله مما تقوم به المرأة عامة في البيت ... مما يوفر في مجموعه سكنا للرجل لا يجده إلا في بيت ترعاه زوجته .

ثالـــثا:- أرجو ألا أكون مخطئا إذا رأيت ـــ قياسا على ما سبق ـــ أن من حـــق المرأة أن تحصل على نصف ما يحصل عليه الرجل من أجر على عمله خـــارج البيت ، أو ما يحققه من ربح في تجارته، ما دامت تحصل على ثواب مساو لثواب الرجل على ما يقوم به من عبادة وجهاد .

ولكنـــني أســـتدرك فأقول: إنه ما دام الرجل ينفق على زوجته، ولا يبخل عليها مما آتاه الله من فضله، ويوفر لها ما ترغب فيه وتشتهيه من وجده ملكه، فإنه كمن يعطيها نصف ما يناله من أجرٍ، أو يحصل عليه من مرتب أو يحققه من ربح .

لماذا المغالاة في الخلافات الزوجية ؟

لا يعني نجاح الزواج براءته من كل عيب، فالقاعدة الذهبية في الزواج هي أنـــه قلما يوجد زواج بلا عيوب ، وأنجح زواج هو الأقل عيبا وهو الذي يكون فيه كل من الزوجين على دراية بذلك وعلى استعداد لتقبل الاختلافات بينه وبين الطـــرف الآخـــر ، وأن يحـــاول الـــتوافق معه بأكبر قدر مستطاع من التفهم والتبصـــر، ولو أن المتزوجين أدركوا هذه الحقيقة إدراكًا صحيحا لطردوا عن أذهـــانهم الفكرة الخاطئة عن الطلاق كعلاج ، ولعمل الزوجان معا على تطوير زواجهمـــا باســـتمرار في إطار من آمال معقولة يراد تحقيقها، وعيوب يتفهمها الطـــرفان فـــي كـــل زواج ناجح حتى لا تغرق سفينة الزواج في بحر الحياة المضطرب .

والخطـــأ الأكبر الذي يقع فيه كثير من المتزوجين هو المغالاة في تصوير الخلافـــات الـــزوجية وأن يسارع أحدهم عند كل مشكلة زوجية إلى التفكير في االطـــلاق، وأن يقول لنفسه : أن زواجي هو أشقى زواج ، على وجه الأرض، لقد حاولت الاستمرار كثيرا، ولكنني لم أعد أحتمل، لا راحة إلا في الانفصال، فهو أهون من هذا الجحيم الذي أعيش فيه !!

وينســـى هـــؤلاء أن الطلاق ما جعل إلا استثناء عندما يخفق الزوجان في العيش معا في إطار من حدود الله تعالى، وحين تستحيل العشرة الزوجية بينهما لأسباب قوية مفهومة، ولكن المؤسف هو أن أغلبية الأشخاص لا يكون الطلاق عـــندهم رداً على مشكلة حقيقية، أو وقوعاً تحت ضغط أزمة قوية يكون معها استمرار الزواج مستحيلاً!

وليـــت هـــؤلاء يتأملون قول النبي (ﷺ) : استوصوا بالنساء خيراً، فإنهن

خلقن من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن استمتعت بها، استمتعت بها وبها عوج، وإن ذهبت تقيمها كسرتها، وكسرها طلاقها ([1]).

فحين يركب الزوج رأسه ويصر على الطلاق يتغافل عما سيجلبه ذلك من شقاء وحزن وألم لا ينتهي له ولزوجه، ويظن كثيرون في هذه اللحظة أن الطلاق يمكن أن يكون حلا للمشكلات أو نهاية للمتاعب التي تصادفهم في حياتهم الزوجية، ولا يعلمون أن الطلاق تنشأ عنه مشكلات أكبر من طاقتهم، لأنها مشكلات أكثرها لا حلول لها، وخصوصا إن كان هناك أولاد وأهم هذه المشكلات ما يلي:

١- **مشكلة الأولاد:** فالأطفال في حاجة إلى رعاية نفسية وتربوية ومالية بين الأبوين معا، والطلاق يشرد الأطفال بين الأب والأم ويجعل الطفل تائها بينهما، يشعر أنه ليس كغيره من الأطفال الذين ينعمون بحياة أسرية مستقرة فيها الحنان والرعاية من الأبوين، وشقاق الطلاق بين الأبوين يلقي ظلالا كثيفة على نفسية الطفل تؤثر في شخصيته وتحصيله واكتساب المهارات. كما أن أحد الأبوين يحرم من الطفل حين يقيم مع الآخر، ويحرم الطفل من أحد الأبوين، وأحيانا ما تنشأ مفارقات محزنة، فقد يلقى الأب ابنه في الطريق وهو بصحبة والدته التي طلقها، فيمر كل في طريقه وكأنه لا يعرف الآخر، وليس بعد هذا ألم للطفل والأب والأم معاً.

٢- **المشكلات الاجتماعية:** يحترم المجتمع الشخص المتزوج على حين يتخوف من المطلق ويرفضه وهذا طبيعي لأن الطلاق هو عمل ضد المجتمع، والمطلق يصير مصدر خطر للمجتمع أكثر من غيره، لأنه قام بفصم علاقة

([1]) متفق عليه.

اجـــتماعية كانت في صالح المجتمع وصار متحررا من هذه الناحية، ولا نعجب إذ نـــرى كثيرًا ممن يحيطون بالمطلق يشعرون بالخوف شيئا ما منه، ويجدون أنفسهم وقد تغيرت اتجاهاتهم نحوه وسلوكهم تجاهه، وغلقت أمامه أبواب كثيرة كانت مفتوحة، وسحبت أياد كانت ممدودة.

٣- **المشكلات الشخصية:** يعاني المطلق كثيرا من احترام المجتمع فيشعر بالمهانـــة والإحباط وحين يفكر في فشل حياته الزوجية يحس بالغضب والحزن الـــذي لا ينتهي، كما أن حياته تتغير فيفتقد الحب والأنيس والمعين، ويحرم مما اعتاد عليه من حياة منظمة مستقرة يشبع فيها حاجاته الحسية والعاطفية والمادية.

٤- **المشكلات النفسية:** يعاني المطلق آلاما نفسية متجددة تتغذى بإحساسه بـــالوحدة والاغـــتراب والفشل.فقد ظن أن الطلاق سيعالج مشكلاته، ولكن على العكـــس مـــن ذلـــك أحـــس بلذغ الواقع الأليم الجديد الذي يتجنبه فيه كثير من الأصدقاء ويتحرجون من التعامل معه أو دعوته إلى بيوتهم، كما يشعر المطلق بالشقاء الذي جلبه لنفسه ولغيره؛ لأنه قضى على نفسه وعلى طليقه وعلى أطفاله بالتعاسة التي لا علاج لها والحرمان الذي لا يمكن تعويضه غالبا.

فـــالطلاق وضع استثنائي مخالف لطبيعة الامتداد الأسري والعائلي إذ هو يهدم الأسرة ويقطع علاقات كانت قائمة، ويفصم عرى كانت موثوقة، وهو أشبه بالزلـــزال الـــذي يشق الأرض، أو الانفجار الذي يبعثر الأشياء ، وكل مطلق يشـــعر لوقـــت طويل أن ذاته قد تبعثرت بعد زلزلة عظيمة ويحتاج إلى وقت طويـــل كي يجمع أجزاءه ولكي تلتئم جروحه، ولكن الأمر كثيرا ما يكون كما قال الشاعر:

جراحات السنان لها التئام ولا يلتئم ما جرح اللسان

٥- **المشـــكلات الماديـــة:** يظـــن بعض الأزواج أن الطلاق مجرد كلمة يـــنطقونها، ولكـــن الأمر أكبر من ذلك بكثير، إذ ينشأ عن الطلاق واقع جديد يكـــلف الرجل من ماله ونفسه وراحته كثيرا جدا؛ فيترتب عليه أن يدفع للمرأة مؤخر المهر، ونفقة العدة، ومتعة الطلاق، وهي تأخذ المنقولات والأثاث، فإن كـــان لهمـــا ولد أضيف إلى ذلك أن يوفر المطلق مسكنا أو يدفع أجر مسكن بالإضافة إلى أجر حضانة للأم ونفقة للصغير إلى أن يبلغ.

وإذا كـــانت المرأة لا تدفع في الطلاق عادة مالا، إلا أنها تخسر من حياتها ومســـتقبلها أكثر مما يخسر الرجل، وخصوصا في مجتمعاتنا التي فقدت نظرة الـــرحمة للمطـــلقة والـــرعاية لها. وأمام هذه الحقائق لا يتردد أحد من خبراء الـــزواج في التأكيد على أنه ليس في الطلاق حلا لمشكلات زوجية ولا علاجًا لخصـــومات في الأسرة، إذ الطلاق يصنع المشكلات ولا يحلها، ويجلب الشقاء والأحـــزان للأبـــناء، والأزواج والمجتمع، سواء في المجتمعات في الشرق أو الغـــرب، ولذلـــك يقـــول خـــبير الزواج فان ديفلد: الطلاق ليس علاجا للشقاق الزوجي، والواقع أن الطلاق معناه انتصار العداوة الزوجية انتصارا تاما نهائيا.

إنه هدم أصعب من البناء:

حيـــن تذهب السكرة ويفيق العقل على حقائق الطلاق المرة قد يتحسر كل مـــن الـــزوجين على الفراق ويندم حين لا ينفع الندم فالطلاق يصيب عواطف الـــزوجين بشـــرخ عظيم وقد تقف حوائل كثيرة دون عودة ما تفرق ومن ذلك قصة الشاعر الأخطل الذي له زوجة يعجبه شأنها إلا أنه طلقها وتزوج بمطلقة رجل من بني تغلب وكانت هي بالتغلبي الذي طلقها معجبة فبينما هي ذات يوم جالســـة مع الأخطل إذ ذكرت زوجها الأول فتنفست الصعداء ثم ذرفت دموعها

فعرف الأخطل ما بها فتذكر هو أيضا امرأته الأولى وأنشأ يقول:

كلانا على وجد ببيت كأنـــــــــما بجنبيه من مس الفراش قروح

على زوجها الماضي تنوح وزوجها على الطلقة الأولى كذاك ينوح

وقد يتدخل الأب أو الأم فيدفعان ابنهما إلى طلاق زوجته فيهدمان بيتا كان راسخ الأركان دون سبب جوهري ثم يريان من شقاء الابن بعد أن حرم زوجته الـــتي يحبها ما يدفع إلى إعادة ما تفرق ومن هذا أن عبد الرحمن بن أبي بكر الصـــديق- رضـــي الله عنه- تزوج بعاتكة بنت زيد بن نفيل وكان يحبها حبا شديدا فأمره أبوه بتطليقها فقال بعد طلاقها

فلم أر مثلي طلق اليوم مثلها ولا مثلها في غير جرم تطلق

لها خلق سهل وحسن متعب وخلق سوي ما يعاب ومنطق

أعاتك قلبي كل يـــوم ولـــيلة إليك بما تخفي الـــقلوب معلق

أعاتك ما أنساك ما ذر شارق وما لاح نجم في السماء محلق

فرق له والده أبو بكر الصديق ــ رضي الله عنه ــ وأمره أن يراجعها وقد لا يمكن عودة المرأة إلى الرجل كأن تتزوج المرأة بآخر أو ترفض العودة بعد أن تبين من زوجها بينا فحينئذ يجد المطلق صعوبة كبيرة في بدء حياة زوجية جديدة من نواح عدة فهو نفسه بما تكون لديه من خبرات في الحياة الزوجية يجد صـــعوبة في الوصول إلى كفء يرضى به ويستجيب لرغبته في الزواج ويبدأ معه حياة ينسى فيها الماضي فالماضي لا يموت أبدا وهذا بالنسبة للمرأة المطلقة أشد وأقسى في مجتمعنا إذ المطلقة يبتعد عنها الأزواج ويتحاشون الارتباط بها ولأن عدد النساء أكثر من عدد الرجال في مجتمعنا فالمطلقة وإن كانت صغيرة

السن يكون مكتوبا عليها أن تقضي بقية حياتها بلا زواج تلاحقها كلمة "مطلقة" وكأنها أبدية كما أن أولياء الفتيات يخافون من ناحية أخرى تزويج بناتهن لرجل مطلق وخصوصًا إن كان له أطفال.

ويشـــقى المطـــلق كثيرا حتى يستطيع أن يبني أسرة جديدة فهو يدفع للهدم كـــثيراً من المال وليته يدفع للبناء أكثر ومع هذا يظل شبح الطلاق مخيما على أســـرته الجديدة ومهما حاول أن يتخلص من الماضي فإن للماضي ثوابته وقد أظهرت الإحصاءات في انكلترا أن نسبة الطلاق في الزواج الثاني تكون أعلى مما هي عليه في الزواج الأول لأن كلا من الرجل والمرأة في هذا الزواج خبر الحياة الزوجية من قبل وتشكلت شخصيته على نمط يصعب تغيره لكي يتكيف مـــع الأوضـــاع الجديـــدة والزواج الثاني كثيرًا ما يصاحبه تنازلات كثيرة في الاختيار لأن المطلق يشعر أنه الأدنى والمجتمع ينظر إليه على أنه أقل فيختار الأقـــل ثـــم يقع في الندم بعد ذلك ولا يستطيع أن يواصل الحياة مع غير كفء وكان الأولى بمن فشل مرة أن يفهم أن سبب الفشل الأول هو انعدام الكفاءة فلا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين.

لا تستسلم لأفكار الطلاق

أفضـــل مـــا يفعله الأزواج هو ألا يستسلموا لأفكار الطلاق التي تتوالد في الـــنفس وتتعاظم لأقل الآسباب وأن يتمعنوا في كون حياة العزوبية بعد الطلاق كـــلها شـــقاء وعذاب وخسائر ومهما يكن في الزواج من عيوب وأخطاء فحياة المطلقين أكثر تعاسة وحرمانا وألما واستمرار زواج به عيب أو عيوب أفضل من طلاق به خسائر لا تعد ولا تحصى والواقع يؤكد أنه من الأفضل الاستمرار فـــي الزواج وبذل كل جهد لإنجاحه بدلا من أن ينفصل الزوجان فيهدمان أسرة ويشردان أطفالاً ويحرمان نفسهما من متع الحياة الزوجية المستقرة.

إن العـــاقل لابـــد له أن يعي ما يعطيه الزواج له من مزايا كثيرة سيفتقدها بـــالطلاق فالـــزواج مشـــاركة وجدانية وأنس بأليف يبث الإنسان إليه همومه وأحـــزانه ويشـــاركه أفراحه ويسانده في الحياة والزواج إشباع لحاجات حسية وعاطفية .

والـــزواج بيت وأسرة وأولاد كالأزهار المتفتحة تحتاج للرعاية والصيانة ومـــن المؤكد أن الأطفال هم أكبر ما يجمع بين الزوجين ويجعل حياتهما قابلة للإســـتمرار مهمـــا يكـــن فيهـــا من الخلاف والرجل الذي يستحق أن يوصف بالـــرجولة حقـــا هو الذي يشعر بالواجب تجاه زوجته وأولاده وبيته ويفهم أن الطـــلاق هو قطع رحم وفراق وإحراق للمشاعر الجميلة وامرأته مسؤولة منه وأنها أم أولاده وطلاقها جناية عليها وعلى أولاده بالشقاء الأكيد فكيف يلقي بها إلى هـــذه الهوة السحيقة التي هي كذبح بالخيط بلا رحمة للمرأة، فكم من كلام يقال وظنون تلحق بالمطلقات، والزواج يتهدد باستمرار ما لم يكن هناك إحساس بـــالواجب وما لم يتسامح كلا من الزوجين ويتنازل عن بعض حقه ويحاول أن

يتوافق مع قرينه إذ العداوة بين الزوجين كامنة وستنطلق مع أقل كلمة أو حركة بعيدة عن الصواب والحكمة، والرباط الشرعي المقدس الذي يستشعره المتدينون في زواجهم ينبغي أن يجعل حياتهم أكثر استقرارا من غيرهم فالمؤمنون والمؤمنات بعضهم من بعض نسأل الله تعالى أن يصلح ذات بين المسلمين.

كيف نحد من حالات الطلاق

ونحمي الأسرة من الانهيار والتفكك ؟

من المظاهر المنتشرة في كثير من المجتمعات الإسلامية الآن ... ظاهرة خروج الزوجة غالبا من بيت الزوجية قبل وقوع الطلاق عليها، وبمجرد خروجها تبدأ المشكلات حيث يعمل كل منهما علي إفشاء سر الآخر، فيبدي أمام الناس ما لا ينبغي أن يتحدث عنه صاحب الخلق الرفيع ...

وسجلات المحاكم خير شاهد على تباعد الناس عن منهج الله عز وجل، وكان أولى بكل منهما أن يتقي الله ويحفظ سر الآخر. وكذا ظاهرة زيادة نسبة الطلاق: فعلى سبيل المثال لا الحصر: (في بعض الدول العربية قضايا الطلاق تمثل نسبة ٦٠ % من نسبة قضايا الأحوال الشخصية، وأن نسبة الطلاق ازدادت في الفترات الحديثة التي انعقدت بها سنة ١٩٨٥ م بعكس الماضي، فقد كان من النادر أن ترفع زوجة قضية ضد زوجها لطلب الطلاق، لأنها كانت حريصة على بيتها وأولادها .

إن الإسلام ينهى عن إفشاء السر بين الزوجين وفي داخل الأسرة عموما، حيث يوغر الصدر ويزيد الشقاق والخلاف بين الزوجين .

يقول رسول الله (ﷺ) : (إن من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى المرأة وتفضي إليه ثم ينشر سرهما (١).

فالأولى بكل واحد من الزوجين أن يتقي الله ويحفظ سر الطرف الآخر حتى بعد الطلاق .

---

(١) رواه مسلم من حديث أبي سعيد الخدري .

يذكر أحد الصالحين (حينما طلق زوجته، جاءه أحد أقاربه مستفسراً عن سبب الطلاق، فقال له يا أخي إنها ما زالت في عدتي، وبالتالي فهي في حكم زوجتي، وبعد فترة من الزمن انتهت العدة، فجاء القريب مستفسرًا عن سبب طلاقها ؟ فقال له يا هذا ما كنت لأتحدث عن امرأة هي الآن أجنبية عني ... ثم تزوجت هذه المرأة برجل آخر. فجاء القريب مرة ثالثة يقول له : لقد تزوجت برجل غيرك، فما سبب طلاقها؟ فقال له ماكان يحق لي أن أتحدث عن زوجة غيري).

وفي هذه القصة: دليل على صفات قلوب السابقين، وتلوث قلوب البعض من المعاصرين الذين امتلأت قلوبهم حقدا وغلا، فرأيناهم قد وقعوا فيما وقعوا فيه من أخطاء ومشكلات، والإسلام عالج الآثار المترتبة على الطلاق في قوله تعالى : ﴿ الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ (١).

ومن التسريح بإحسان: عدم إفشاء سرها، أو التقليل من شأنها وإشاعة ما يسئ إلى سمعتها. لأن ذلك يضر بمستقبل حياتها مع رجل آخر والرجل الذي يسئ إلى المرأة بأي وسيلة من الوسائل يرتكب جرما عظيما لمخالفته لمنهج الإسلام في رعاية الحقوق الإنسانية التي كفلها الإسلام لكلا الطرفين.

الإسلام أوصى بعدم كفران العشير :

وذلك بأن تشكر نعمة زوجها، مع عدم التنكر لأي شيء يقدم لها منه مهما كانت الظروف التي تحمل على تناسي الخير، فالمعروف الذي يصل من الرجل إلى زوجته كبير، فهو حاميها وراعيها والمنفق عليها والموفر لها كل متعة ، والمتحمل عنها متاعب الحياة، فعن عبد الله بن عمرو ــ رضي الله عنهما ــ

(١) سورة البقرة: ٢٢٩.

عــن النــبي (ﷺ) قال: (لا ينظر الله تبارك وتعالى إلى امرأة لا تشكر لزوجها وهي لا تستغني عنه) ([1]) .

إن التفرقة الزوجية يجب أن تعالج في محيط البيت بين الزوجين فقط فإن لم يستطيعا حلها انتقل الأمر إلى التحطيم (عن طريق الأهلين) للحسم في هذا الخلاف بالصلح أو التفريق بالمعروف.

وفيما يلي ذكر خطوات لابد منها في حل هذه المشكلات :-

١- العلاج بيد الزوج نفسه .

فقــد جعــل القــرآن الكريم للزوج بحكم رئاسته على البيت وإشرافه على مصــالحه حق علاجه مخالفة النشوز من زوجته، ولم يترك وسائل هذا العلاج حسب الأهواء للأزواج أو حسب البيئات، بل حدد أنواع العلاج في هذا الطريق حسب علم المولى عز وجل بطبائع النساء، وهو سبحانه وتعالى أعلم بما خلق، العــادل فيمــا حكم، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ اللَّهُ وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً ﴾([2]).

فالآيــة تــبين بعد تشخيص الحالة المرضية للزوجة هنا، بأنها حالة نشوز متناهية قد تستفحل إلى نشوز كامل مالم يبتدره الزوج بتأديب تربوي تدرج بدءًا بالأخف وانتهاء بالأقوى.

روي عن علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) قال يعظها بلسانه.. فإن انتهت فلا سبيل له عليها، فإن أبت هجر مضعجها، فإن أبت ضربها ، فإن لم تتعظ بالضرب بعث الحكمين).

([1]) إسناده صحيح رواه البزار والنسائي.
([2]) سورة النساء: ٣٤.

فالوعظ : هو أول إجراء وقائي عند خوف النشوز للإسراع إلى الإصلاح

فالكـــلمة الطيبة إذا وقعت موقعها الحسن في نفس صاحبها فقد تبدل نفسيته مما يجعله ينتقل من حال الكفر والمعاندة إلى الإيمان والسعادة .

ويـــتم الوعظ : بتخويفها حين تبدأ علامات العصيان والتمرد على زوجها (النشـــوز) بعاقـــبة العصـــيان في الدنيا (مثل : سقوط حق الزوجة في النفقة والقسم)([1]) وارتباك الحياة الزوجية وأثر ذلك عليها وعلى الذي أعده الله للمرأة الناشز العاصية لزوجها، وذلك بالإستشهاد بالأدلة من القرآن والسنة .

فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن : رسول الله (ﷺ) قال: إثنان لا تجاوز صـــلاتهما رؤوســـهما، عبد أبق من مواليه حتى يرجع، وأمرأة عصت زوجها حتى ترجع) ([2]).

وتذكر ما أمر الله وما فرض عليها من واجبات من حسن الصحبة وإحترام الزوج وطاعته، وجميل العشرة، والإعتراف بالدرجة التي له عليها).

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله (ﷺ): (لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها) ([3]).

وترغيبها في طاعة الزوج وبيان آثارها الدنيوية والأخروية، حيث يذكرها بمـــا عند الله من حسن الجزاء للمرأة الصالحة القانتة الصابرة، فعن أم سلمة- عن النبي (ﷺ) قال : (أيما امرأة ماتت وزوجها راض عنها دخلت الجنة)([4]).

([1]) القسم هو إذا كان الرجل له أكثر من زوجة فيكون لها عدد أيام مثل يومين ويوم فيسمى قسم.
([2]) رواه الحاكم والطبراني.
([3]) رواه الترمذي وحسنه.
([4]) رواه ابن ماجة والترمذي والحاكم.

وعـــن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ قال : قال رسول الله (ﷺ): (إذا صلت المرأة خمسها وحصنت فرجها ، دخلت من أي أبواب الجنة شاءت)([1]).

والهجـــر في المضجع: حيث إن أثمر الوعظ اللساني فلا سبيل له عليها، وإن استمرت على موقفها ولم تفلح معها أساليب الوعظ مهما تنوعت أو تكررت يـــلجأ إلى الوســـيلة الـــثانيه وهي ــ الهجر في المضجع، وفي الهجر هذا إيلام شديد؛ لأن فيه من الامتناع عن المتعة نفور شديد ووحشة كبيرة تحسها إذا خلا فرشها ممن يؤنسها، ولا يحتمل ذلك إلا قلة نادرة من النساء ٠

والضرب: هنا يعتبر آخر وسيلة يلجأ إليها الزوج بعد فشل الوعظ والهجر، والضرب نهاية المطاف قبل الشقاق، مما يساعد على حماية الحياة الزوجية بما فيهـــا الأطفـــال الأبرياء من التصدع والشقاق وتدخل الحَكَمَيْن، وافتضاح أمر النزاع خارج حدود مخدع الزوجية ٠

وهـــنا يقصـــد بالضرب في الآية (٠٠٠ واضربوهن) هو ضرب الأدب غير مبرح، وهو الضرب الذي يؤلم ولا يكسر عظما ولا يدمي لحما، وهو الذي لا يسوء الجسم ولا ينهر الدم، وأن يكون الضرب مفرقا على البدن، ولا يوالي بـــه في موضع واحد لئلا يعظم ضرره، وأن يحصل بشئ حفيف كدرة ومنديل مـــلفوف لا بسوط أو خشبة وألا يكون الضرب على الوجه والمواضع الخطرة كالبطن، حيث إن المراد هو الإيلام الأدبي والتحقير وليس الإيلام الجسدي ٠

فعن جابر (رضي الله عنه) قال : قال (رسول الله (ﷺ): (اتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولكم عليهن ألا

([1]) رواه ابن حبان وصححه.

يوطئن فرشكم أحد تكرهونه ، فإن فعلن فاضربوهن ضربا غير مبرح)([1]).

٢ ــ التحكيم : ــ

في حالة إذا لم يفلح الزوج في إصلاح حال زوجته (بالوعظ ثم الهجر ثم الضــرب) ، وكبح جماح نشوزها ووصل الأمر إلى الشقاق والنزاع المستمر ٠٠ فــإن الشــرع لا يهيب بالزوج حينذاك أن يسارع إلى الطلاق وفسخ الحياة الــزوجية، عــليه أن يــلجأ الى أمر شرعي آخر رجاء الإصلاح ، ورغبة في إنجاح الحياة الزوجية ، والإبعاد عن مغبة الطلاق وأضراره، وهذا الأمر الآخر هو التحكيم كما أرشد إليه المولى سبحانه وتعالى٠

فقــد جــاءت آيــة التحــكيم في القــرآن الكريم عــقب الآية التي حددت العــلاج الــذي يكون بيد الزوج٠ حيث يقــول تــعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَماً مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلاحاً يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً خَبِيراً (٣٥)﴾ ([2]).

ويفهــم مــن هذه الآية : أنه لا يلجأ إلى التحكيم إلا بعد عجز الزوج عن الإصلاح بالطرق المشروعة له وتأكده من أن النشوز بات أمرًا واقعًا لا متوقعًا ولا يــلجأ إلى الــتحكيم كذلك إلا في حالة احتدام الخلاف بين الزوجين وخيف وقوع الطلاق بينهما، وتعثرت الحياة الزوجية وأصبحت في خطر ٠

والله سبحانه وتعالى يخاطب بهذه الآية جماعة المسلمين، وكأنه يهيب بهم إلى التدخل لرأب هذا الصدع وحفظ هذه الأسرة من الانهيار تحقيقًا لما يجب أن يكون بينهم من التكافل والتضامن في حفظ الأسر والبيوت ٠

([1]) رواه مسلم.
([2]) سورة النساء : ٣٥.

وهنا : قد يفهم الناس قضية الحَكَم على أنه دخل مُصلحًا فقط، لا إنما دخل الحكم من جانب الزوج والحكم من جانب الزوجة، ولهما أن يبرما أمرا له قوة الحُكـــم، وحيـــن يكون الأمر كذلك تنتهي النزاعات سترًا للأعراض في بعض الأحـــايين ، وسترا لشراسة الأخلاق في بعضها الآخر ففي السترما يغني الناس عـــن نشـــر الأشياء، لأن الله ملَّك الأمر في الطلاق للرجل مخافة أن تقول له اعـــرض أسباب طلاقك، فيعرض أسباب طلاقه، فتكون هذه الأسباب حائلا بين أن تجد المرأة من يتزوجها أو بين أن يجد الرجل من تقبله زوجا، فحين جعلها للرجل فقد استتر وراءه كثير من الأشياء ٠

وهنا: نجد أن اللجوء للقاضي بالنسبة للخلافات الزوجية بدون اللجوء إلى الحَكميـــن أســـلوب لا جـــدوى منه: فالقاضي لا يقضي إلا بما تثبته الأمارات والبيـــنات، والطـــلاق بخفايا النفوس ومطويات القلوب، ولا سبيل لإثبات هذه الأمـــور٠٠ فضـــلا عن أن القاضي إنما ينظر فيما هو حق أو ظلم ليقر الحق ويزيل الظلم ٠ والطلاق في كثير من مسائله لا يتعلق بعدل أو ظلم وإنما يتعلق فـــي معظمـــه بصلاحية أو عدم صلاحية الرابطة للاستمرار، بل إن هناك من الأمـــور الـــزوجية ودخـــائل الأسر ما تدعو المصلحة لستره وعدم كشفه أمام القضاء ٠

إن زيادة نسبة الطلاق في كثير من المجتمعات الإسلامية، ترجع إلى عدم تطـــبيق تعـــاليم الإسلام في مسألة اللقاء ٠٠٠ فالذين أقبلوا على الزواج بغير معاييـــر الإســـلام وقوانين القرآن الكريم، من الضروري أن يحدث بينهم هذا الشقاق ٠

وهـنا : قـلَّ أن يكون دخل رجل على الزواج والتزم بحدود الله والتعاليم الإسـلامية، وامـرأة عـلى الزواج والتزمت بحدود الله والتعاليـم الإسلامية والمـنهج السليم الذي زخرت به النصوص الشرعية من القران والسنة النبوية، ثـم يـأتي بعـد ذلـك شئ يعكر صفو الحياة ... فبالتأكيد تجد نسبة الطلاق منخفضة جدًا .

فـالملاحظ أن : مـن أهم الأسباب التي تدفع الزوجين لطلب الطلاق في الوقـت الحالي منها ما يكون قبل الدخول ومنها ما هو بعده فمن الأسباب التي تكون قبل الدخول :-

١ـ سـوء الظـروف الاقتصادية بالنسبة للشباب والمغالاة في المهور فقد وصـلت تكاليف الزواج إلى حد الخيال ، واحتار فيها العقلاء وأصبح الناس لا يميزون بين الضرورات والكماليات ؟

بدءًا من حفلات الزواج الباهظة إلى المغالاة في المسكن والأثاث والأجهزة الحديـثة، إلى المفروشات والنجف والتحف إلخ، وصار الناس في هذه الأشياء سـواء، ابـن الوزير وابن الغفير، ولقد أصبحت ظاهرة ارتفاع المهور عرفًـا متـبعا وعادة محكمة وفي ذلك تضييق واسع على الناس حتى عجز الفقير عن أن يـتقدم لامرأة ذات مستوى معين وجد فيها عفة وصلاحا، وبالرجوع لتعاليم الإسلام هنا نجد أن الإسلام:

يدعـو أوليـاء الأمور إلى أن يختاروا لبناتهم الرجل الذي يتصف بأخلاق الدين ويطبقه تطبيقًا عمليا بكل فضائله وآدابه السامية. مهما كان فقيرًا لأنه في اختيار الزوج الصالح إرساء لأسس الحياة الزوجية على دعائم متينة من الأمن والثـبات على المبدأ وتحقيق المستوى الاجتماعي والاقتصادي والثقافي للأسرة

فعن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ قال : قال رسول الله (ﷺ) (إذا أتاكم من ترضــون ديــنه وخــلقه فــزوجوه إلاّ تفعــلوا تكــن فتنة في الأرض وفساد عريض)([1]).

وتقــول السيدة عائشة ــ رضي الله عنهاــ: النكاح رق فلينظر أحدكم أين يضــع كريمته والإسلام يدعو إلى اليسر والوسطية وتيسير الأمور خاصة في الزواج، ولقد كان المهر في الماضي يتسم غالبا بالبساطة واليسر..فقد كان من الــنوع الموجود في كل زمن وبيئة، لأنه وسيلة لهدف سام وشريف. فالأعرابي كــان يمهــر زوجته بعيرا، والفلاح كان يمهرها نخلا أو أرضًا، والتاجر كان يمهرها نقودا أو بعض الأطعمة والملابس.

ولقــد ضرب رسول الله (ﷺ) أروع المثل في تذليل العقبات والتيسير على الشباب من أجل زواجهم حرصا عليهم.

فعــن عائشــة ــ رضــي الله عنها ــ قالت: كان صداق رسول الله (ﷺ) لأزواجه اثنتي عشرة أوقية فذلك خمسمائة درهم .

قــال ابن عباس ــ رضي الله عنه ــ : لما تزوج علي- كرم الله وجهه- فاطمة رضي الله عنها، قال رسول الله (ﷺ) : اعطها شيئا- أي مهرا- قال ما عندي. قال: فأين درعك المحطمة؟ قال: هي عندي. قال فأعطها إياها .

٢- ســرعة إتمــام الزواج بدون سابق معرفة، وبدون التأكد من شخصية الزوجة وطباعها وأخلاقها، وكذا الزوج، وعدم استشارة المرأة عند الزواج.

وبالــرجوع لــتعاليم الإســلام نجد: أن الفتى قبل أن يخطب فتاته لابد أن يتعرفها، ويلتمس النواحي التي تعجبه فيها حتى يقدم على خطبتها، وهو مطمئن

([1]) رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم .

على حسن اختياره، لأن الزواج ارتباط طويل سيكون له ثمرات مهمة فقد أباح الإسلام للرجل أن ينظر إلى من يريد الزواج منها، لأن الزواج الذي يتم عن رغبة حقيقية بعد النظر والتروي، يكون مظنة للوفاق والألفة وتحقيق السعادة. فقد روى الترمذي هذا الحديث وحسنه من حديث المغيرة بن شعبة: أنه خطب امرأة فقال له النبي (ﷺ) انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما ([1]).

ومعنى يؤدم بينكما: تحصل الموافقة والملائمة بينكما- مأخوذ من الأدمة وهي الجلد، وهو كناية عن التلاصق والتوافق.

وأيضا أباح الإسلام أن تنظر المرأة إلى من يتقدم لخطبتها، بل يسن لها ذلك:

لأنه يعجبها منه ما يعجبه منها- ولها أن تستوصف كما يستوصف هو- فذلك مقتضى العدل والحكمة، فالنفس بطبيعتها تتطلع إلى الجمال وتتلمسه في كل شيء، وهو من أهم عوامل دوام الألفة، والنسوة يرغبن فيه ويبحثن عنه، كما يهفو الرجال وينقبون عنه، يقول رسول الله (ﷺ) : يعمد أحدكم إلى ابنته فيزوجها القبيح الدميم، إنهن يردن ما تريدون ([2]).

وقال عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ "لا تنكحوا المرأة القبيح الدميم، فإنهن يحببن لأنفسهن ماتحبون لأنفسكم"([3]).

وقد أباحت الشريعة الإسلامية للمرأة أن تختار الزوج الذي تريده اختيارا حرا لا اكراه فيه ولا إجبار، وأوجب على وليها أن يبدأ بأخذ رأيها عند زواجها، وأن يعرف رأيها قبل العقد:

([1]) نيل الأوطار (٦/١١٧).
([2]) ذكره ابن القيم في كتاب آداب النساء حديث الزبير بن العوام.
([3]) رواه مسلم (٩ ــ ٢٠٢).

لأن الـــزواج معاشـــرة دائمة، ولا يدوم الوئام ويبقى الود والانسجام ما لم يعرف أنها راضية عنه، وهنا لو استبد الولي بالاختيار وانفرد بالعقد يكون جانيا عـــليها وائدا لها وأدًا نفسيًا تاركا إياها تتجرع وحدها الكأس المرة في هذا الجو القـــاتم الـــذي قـــدر لـــروحها أن تحبس في ظلماته ولذلك فقد منعت الشريعة الإسلامية إكراه المرأة البالغة العاقلة- بكرا كانت أم ثيبا- على الزواج ممن لا تريد الارتباط به، وجعلت العقد عليها دون استئذانها غير صحيح، وأباحت لها حـــق المطالبة بفسخ العقد(عقد الزواج)، إبطالا لتصرفات الولي المستبد الذي عقـــد عليها بدون إذنها أو رضاها. فعن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ قال: قـــال رســـول الله (ﷺ) : لا تنكح الأيم- الثيب- حتى تستأمر، ولا تنكح البكر حتى تستأذن. قالوا : يا رسول الله وكيف إذنها؟ قال: أن تسكت ([1])

وحـــتى اليـــتيمة إذا أراد وصـــيها أن يستغل وصايته عليها فيزوجها دون رضاها: طلب الشارع أن تستأمر أيضا.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): تستأمر اليتيمة في نفسها. فإن سكتت فهو إذنها وإن أبت فلا جواز عليها ([2]).

٣- اهـــتمام المـــرأة ووليها بغنى الزوج بغض النظر عن المعاني الدينية والأخلاقية، والكفاءة في السن والوضع الاجتماعي والثقافي.

وبالـــرجوع إلى تعاليم الإسلام هنا: نجد أن المقياس الإسلامي للزوج الذي تســـعد به الزوجة وتسعد به الأسرة(هو ذو الدين) وذو الخلق فصاحب الدين يخشـــى الله ويـــراقب ربه في معاملتها ويؤدي لها واجبها الذي فرضه الله لها،

([1]) رواه الخمسة إلا ابن ماجة

([2]) رواه الترمذي وابن ماجة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ويكـــون ذا خـــلق حسن، حيث يكون سمحا لطيف العشرة، متفطنا يقظا لموطن الذلة والهوان، فيجنبها نفسه وبيته.

يقـــول رسول الله (ﷺ) موصيا بالحرص على إجابة رغبة الرجل التقى إذا طـــلب الزواج، ومبينا الآثار التي تترتب على الرفض: إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير (١).

وحينما استشار رجل سيدنا الحسن البصري قائلا له: إن لي بنتـــاً فمن ترى أن أزوجهـــا له؟ قال له: زوجها من ذي الدين فإن أحبها أكرمها وإن كرهها لم يظلمها.

والإســـلام يـــراعي الكفـــاءة بيـــن الزوجين في السن والوضع الاجتماعي والـــثقافي، فالـــتقارب فـــي هذه النواحي يعين على دوام العشرة، ويتحقق معها الانسجام المرجو من تكوين الأسرة، فالكفاءة بين الزوجين أساس الحياة الزوجية المستقرة.

فعـــن عائشـــة ــ رضي الله عنها ــ قالت: قال رسول الله (ﷺ) : تخيروا لنطفكم وانكحوا الأكفاء .

وعن جابر ــ رضي الله عنه ــ قال: قال رسول الله (ﷺ): لا تنكحوا إلا الأكفاء، ولا يزوجهن إلا الأولياء (٢).

والكفـــاءة هنا: هي في الرجل ولا يشترط في المرأة أن تكون كفؤاً له. فهو الـــذي يختار ويرضى بمن تكون أقل منه زوجة له، لأن النصوص كلها تتكلم عن الكفاءة في الرجل.

---

(١) رواه الدارقطني.
(٢) رواه مسلم والنسائي وابن ماجة.

يقــول جمهور الفقهاء: إن الكفاءة حق للمرأة والأولياء، فلا يجوز للولي أن يزوج المرأة من غير كفء إلا برضاها ورضا سائر الأولياء لأن تزويجها بغير كفء فيه إلحاق عار بها وبهم، فلم يجز من غير رضاهم جميعا. فإن رضيت، ورضي أولياؤها جاز تزويجها لأن المنع لحقهم، فإذا رضوا زال المنع.

٤- تطلع الناس إلى زوجة غنية أو ذات حسب ونسب عظيم أو ذات جمال فــوق العــادة..دون الاهتمام بدينها وخلقها، وبالرجوع لتعاليم الإسلام نجد أن الإســلام يعد اختيار الزوجة الصالحة ذا أثر حميد في استقرار الأسرة والعودة عــلى الجميــع بالسعادة الدنيوية والفوز برضوان الله في الآخرة، فالزوجة إن صــلحت صــلح المال والولد وصلح كل شيء..فالمرأة الصالحة نعمة من الله وهي خير كنز. فعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله (ﷺ) : مــا اســتفاد المؤمــن بعد تقوى الله عز وجل خيرا له من زوجة صالحة، إن أمــرها أطاعته، وإن نظر إليها سرته، وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها حفظته في نفسها وماله([1]).

٥- ضــحالة معــلومات الزوجين بأمر الدّين، وخاصة فيما يتعلق بالحقوق والواجــبات الــزوجية فنجد عدم التزام الزوجة بما يمليه عليها دينها من طاعة لــلزوج، وكذلــك عــدم التزام الزوج بما يمليه عليه الدين نحو زوجته وبيته، وبالــرجوع إلى تعــاليم الإسلام بمبادئه ومنهجه الذي رسمه من خلال الكتاب والسُّــنة، لتنظيم العلاقة بين الزوجين وبناء الأسرة على نظام سليم، نصل إلى أسرة مثالية، بعيدة عن الخلافات والمشكلات التي تؤدي إلى الطلاق. فلقد عني الإســلام بحقوق كل من الزوجين، فجعل للرجل حقوقا وعليه واجبات، وجعل للمرأة حقوقا وعليها واجبات، فالغاية المنشودة في الأسرة الإسلامية تتركز في

([1]) رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

حيـــاة المودة والسكينة والهدوء والطمأنينة، فتسكن الزوجة إلى زوجها ويسكن الزوج إلى زوجته وتشرق بينهما حياة ظليلة تكتنفها المودة والرحمة.

قـــال تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢١) ﴾ (١).

إنها الحياة الآمنة التي لا تلاحقها المخاوف، الحياة المطمئنة التي لا تزعجها القلاقـــل، يعيش فيها الزوجان وكل منهما ستار للآخر يقي صاحبه الجنوح إلى الخطـــأ أو الانحـــراف، ويقيه أن يذل ويطغى، فكل منهما في أشد الحاجة إلى صاحبه.

(١) الروم ٢١ .